هوامش

عبد الله السعايدة ومحمود السعايدة، شقيقان من قطاع غزّة يعملان على تقديم الأغاني واللوحات الفنية باللهجة النبطية، وذلك للحفاظ على الثقافة البدوية الفلسطينية

يتم تقديم اللوحات الفنية بطريقة يتوازن فيها تقديم الفن البدوي الأصيل مع تطوير الأداء (العربي الجديد)

شوق البوادي

أغانٍ فلسطينية باللهجة النبطية

غزة ـ **علاء الحلو**

يسعى الفنانان الفلسطينيان عبد الله السعايدة وشقيقه محمود، من مخيم المغازي للاجئين الفلسطينيين، وسط قطاع غزة، إلى تقديم الأغاني واللوحات الفنية باللهجة النبطية التي تعكس بمضمونها الثقافة البدوية الفلسطينية. ويحاول الشقيقان، وإلى جانبهما فريق «شوق البوادي للتراث والدحية»، تصوير حياة البداوة والمعاني المرتبطة بها من عزة وكرامة وشجاعة وكرم، عبر لوحات غنائية حافظت في قوامها العام على المرادفات البدوية، إذْ قُدِمت للجمهور بلون لافت.

ودمج الفنانان الأداء مع مختلف الآلات الموسيقية، بهدف تقديم اللوحات الفنية بطريقة يتوازن فيها تقديم الفن البدوي الأصيل مع تطوير الأداء، ليصبح مواكبًا بالكلمات والألحان والأداء للغة الفن العصرية. وتُركز الأغاني الشعبية التي يقدمها الفريق في مضمونها على المعاني السامية التي يعتز بها أهل البادية والقبائل الفلسطينية، والتي تُمجد تاريخها الحافل وفخرها المتواصل بماضي الآباء والأجداد، والحرص على توريث تلك الصفات للأجيال اللاحقة.

وأحيا السعايدة، بمشاركة فريقهما، فن «الشيلة»، وهو فن شعبي من الموروث البدوي والفن الفلكلوري والتراثي، وينتشر في اليمن ودول الخليج العربي ويعتبر أحد أصناف الحداء، والذي يتم فيه التغني بالشعر المُقفى، فيما يختلف عن الغناء والمواويل، باعتباره الأقرب للغة العادية.

ويقول الفنان عبد الله السعايدة، وهو مُغني وبَديع دحية لـ«العربي الجديد»، إن الأغاني التراثية، والتي تتخذ في مجملها الطابع البدوي واللهجة النبطية، وتحمل مبدأ «الطناخة» – أو الزعامة والفخر- تأتي لإحياء الأمجاد التي اندثرت مع مرور السنوات، تأكيدًا على أهميتها وقيمتها العالية. ويشير السعايدة إلى أهمية الفن بمختلف ألوانه الأدائية في إحياء التراث الشعبي الفلسطيني، والحفاظ على الإرث الثقيل، والمنقول أبًا عن جد، كذلك إلى ضرورته البالغة في تخليد المعاني السامية، والتي اكتسبها الأبناء على مر التاريخ.

أما محمود السعايدة، فيشارك شقيقه عبد الله كـ«بَديع دحية»، على ألحان عزف المجوز واليرغول، التي يؤديها عضو الفريق هشام السعايدة، وإلى جانبه محمد أبو زايد عازف الأورغ، ويجد أن فيها فرصة جميلة للتعبير عن أصالة البداوة، كون البدو من الشرائح الأصيلة داخل المجتمع الفلسطيني. ويوافقه شقيقه محمد السعايدة، والذي يختص بالإدارة والحجز والتنسيق للاحتفالات بين الفريق وأصحاب المناسبة. ويبين أن الأعمال الفنية التي يتم تنفيذها تتغنى بالأمجاد والقوة وضرورة الحفاظ على العادات الموروثة، وتحمل كذلك رسالة الحب والسلام والإنسانية ونبذ العنصرية.

ويبين السعايدة، في حديثه لـ«العربي الجديد»، أن شريحة واسعة ما زالت تهتم بالحفاظ على اللون البدوي في احتفالاتها، مُطعمة بالأغاني ذات اللهجة النبطية، ولوحات الدحية والشعر المُغنى، حيث تخصص لها مساحة في المُناسبة، فيما يتجه البعض إلى إتمام كل المُناسبة بهذا اللون التراثي. ويسعى أصحاب هذا اللون الغنائي «القديم الجديد»، إلى الحفاظ عليه، على اعتبار أنه أحد أهم الفنون التراثية والشعبية التي تعكس عبر كلماتها وألحانها حضارة شريحة واسعة، إلى جانب قيمته الفنية العالية، إذ يهتم أصحابه بحمايته من التلاشي.

ونشر الفريق أخيرًا شيلة «الهدف مرصود والرشاش جاهز»، وقد لاقت رواجًا كبيرًا، إذ اعتمدت على الإيقاع الحماسي والمؤثر، فيما تم تقديم عدد من اللوحات الفنية الأخرى، مثل «حانت الغارة» و«رافع خشمه ومتخدر» و«هيبتنا بقبايلنا» و«وصف الخلايق»، إلى جانب أغاني الدحية، وأغاني «الزامل اليمني»، ومنها «انتهى وقت النقاش». ويقدم الفريق كذلك أغاني بلون «الدحية»، ومنها أغنية «إحنا سباع القتال»، والتي يتم فيها التفاخر بالقوة والأصالة، فيما يؤدي الفريق رقصة «الدحية» البدوية، في المناسبات والأفراح والأعياد والاحتفالات الوطنية، وتجمع بين الشعر والأهازيج، ويصطف فيها الرجال صفًا واحدًا، أو صفين متقابلين، ويقف الفنان في المنتصف لتأدية الأغنية وإلقاء الشعر.

ويحرص فريق «شوق البوادي للتراث والدحية» على ارتداء الزي التراثي خلال أداء الحركات المتناسقة مع إلقاء الشِعر المُغنى، ويردد كل صف من الصفين بيت الشِعر المتفق عليه بالتناوب، في ما يعرف باسم «الردادة».

باختصار

تُركز الأغاني الشعبية التي يقدمها الفريق في مضمونها على المعاني السامية التي يعتز بها أهل البادية والقبائل الفلسطينية

■■■

يشير السعايدة إلى أهمية الفن بمختلف ألوانه الأدائية في إحياء التراث الشعبي الفلسطيني، والحفاظ على الإرث الثقيل، والمنقول أباً عن جد

■■■

يقدم الفريق كذلك أغاني بلون «الدحية»، ومنها أغنية «إحنا سباع القتال»

وأخيراً

وليد المعلم شخصيةً فكاهية

خطيب بدلة

وزير الخارجية السوري الراحل أخيرا، وليد المعلم، شخص ظريف. هذا الوصف سيُغضب شريحة واسعة من معارضي النظام السوري، والثائرين عليه. سوف يستنكرون إطلاق صفة الفكاهة عليه، وهو الكاذب، المنافق، البوق، الذي أمضى عمره في تسويغ جرائم الأسد الأب ثم الابن. هذا صحيح. ولكن دعونا نشتغل على نهج القاعدة الحقوقية التي تقول إن البَيِّنة على من ادَّعى واليمين على من أنكر، فأنا، أخوكم، أدّعي أنه ظريف، وعليَّ تقديم البينات.

كان وليد المعلم يقوم، خلال مؤتمراته الصحافية، بتصرّفات مضحكة، تصدر عنه بشكل مقصود، أو كما يقول محامو الدفاع في المحاكم «عن سابق تصميم وإصرار»، مثل قوله، ذات مرة: مَن يحب أن يقصف في سورية يجب عليه أن ينسق معنا! فهذا يتضمن توكيداً على مفهومين وطنيين نبيلين، أولهما السيادة الوطنية التي لولاها لأصبحت سورية «مَقْصَفَة للي يسوى واللي ما يسواش»، وثانيهما التنظيم والجدوى، فبدون التنسيق مع القيادة السورية قد تُقصف منطقة واحدة بضع مرّات، وتبقى مناطق طويلة وعريضة من دون قصف!

كانت بعض التصريحات الغريبة تصدر عن وليد المعلم بقصد إضحاك جمهرة الصحافيين الذين يرافقونه في مؤتمراته الصحافية .. ففي أحد المؤتمرات التي أعقبت اغتيال جمال خاشقجي، تقصّد أن يتحدّث في كل شيء عدا عملية الاغتيال، وقبل انتهاء المؤتمر، قال لأحد الصحافيين: أنت لم تسألني عن اسم هذا الصحافي اللي اغتالوه. قال الصحافي: ما اسمه؟ فقال: لا أعرف، ولا يهمني أن أعرف اسمه! فضجّت القاعة بالضحك والتصفيق. وكانت لوليد المعلم طبيعة شخصية فريدة، أنه لا يحب استلام الحقائب في المطارات بنفسه، فعنده من المرافقين والحرّاس ما يكفي لذلك، ولكن، حينما ذهب لحضور اجتماعات الجمعية العمومية للأمم المتحدة في نيويورك خلال في 2019، اضطرته السلطات الأميركية لاستلام حقائبه بنفسه، بعدما أخذت بصماته في المطار، وجعلته يقف في الصف، ومرّرت حقائبه أمام الكلاب البوليسية، ثم شوهد وهو يجر «الهاندباك» وراءه في أحد شوارع نيويورك، فقرّر أن ينتقم من وزير خارجية أكبر دولة، وفي أول مؤتمر صحافي صنع نكتة قادرة على إضحاك الثكلى والفاقد، إذ انتظر حتى سأله أحدُ الصحافيين عن رأيه بتصريحات مايك بومبيو المتعلقة بسورية، فرد على الفور: مين هادا بومبيو؟

وعلى الرغم من الذكاء المفرط الذي يتمتع به هذا الكائن الكوميدي، إلا أنه كان يقع، أحياناً، في شرّ أعماله، فيبدو غريراً مغفلاً، وبالتالي مضحكاً، مثلما حصل في بداية الثورة السورية حينما عقد مؤتمراً صحافياً أراد أن يثبت فيه للقاصي والداني أن الثورة السورية ليست سلمية، وعلاقتها بالحرية والكرامة واهية، بدليل ما يحمله المتظاهرون من أسلحة. وبعد أن اكتملت المقدّمات، وبدأ التصعيد، رفع يده، مثل نجدت أنزور حينما يصور مشهداً تشبيحياً قوياً، وقال: شغلوا الشريط. وما حصل في اليوم الثاني أن الفيديوهات التي عُرضت في الشريط لم تكن في سورية، بل في لبنان، في أثناء صدامات مسلحة! ولعل أكثر قوم ضحكوا على وليد المعلم، وجعلوه يبدو مسخرةً بين الناس، هم أهل حلب، فبعد وعود الإصلاحات التي زعم النظام السوري (على لسان بثينة شعبان) إن بشار الأسد سيقوم بها قريباً، عقد المعلم مؤتمراً صحافياً قال فيه: سيكون لدينا نظام ديمقراطي غير مسبوق... فانفلت الحلبيون بالضحك، لأن كلمة «مسبوق» بلغتهم، تعني المزنوق الذي يركض إلى الحمام ركضاً، خشية أن يعملها في ثيابه!

يُقال، في سورية، عن الشخص الفكاهي إنه يُضحك الناس حياً ويضحكهم ميتاً، وهذا ما حصل عقب وفاة المعلم، يوم 16 نوفمبر/ تشرين الثاني الحالي، فقد أضحكنا عبد الباري عطوان حينما ارتأى، بجدّية تامة، أن الذين حزنوا على وليد المعلم ليسوا مجرّد أشخاص، وإنما هما (الأمتان) العربية والإسلامية.

> كانت تصريحات غريبة تصدر عن وليد المعلم بقصد إضحاك الصحافيين

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**